نفحات من عبق السيرة النبوية

الجزء الأول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا

عناصر المحاضرة:

1. أهمية دراسة السيرة النبوية.
2. تقصيرنا في دراسة سيرة نبينا.
3. المنهج الصحيح في تعظيم رسول اللهﷺ.
4. بعض من سيرته.

يقول الله تعالى في محكم آياته:(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (164) آل عمران

وقال سبحانه (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (128) التوبة

حقا إنها لنعمة عظمى، ومنّة كبرى أن بعث الله فينا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم رحمةً للعالمين، وهدىً للمتقين، ونورًا للحيارى والضالين، فأحيا بهذا الرسول قلوبًا ميتة، وأسمع به آذانًا صمًا، وأنار به أعينًا عميًا، وجعل رسالته خاتمة خالدة، شاملةً، ونحن نشهد أنه صلى الله عليه وسلم

بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الامة، وجاهد في الله حق الجهاد، فأبان الخير كله ودعا إليه، وأبان الشر كله وحذر منه.

✉إن الخير كلَّ الخير في اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتفاء أثره وسلوك طريقته، وسبيلُ ذلك هو معرفة هديه وتعلمُ أقواله وأفعاله وأحواله، وتدارسُ سيرته، فسيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هي المعين الذي لا ينضب، والروضة التي لا ينقطع زهرها، وإن البعد عن سيرته صلى الله عليه وسلم، والجهل بسنته يهوي بصاحبه إلى ظلمات الجهل والبدع.

وقد ذم الله الذين جهلوا سيرته فقال تعالى في شأنهم (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)المؤمنون 69

⇦ نتعرف على سيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم لتكون لنا منارة على الطريق، وهداية على الدرب.

✉في زمن تكثر فيه الشبهات، وتكثر فيه الضلالات، والبدع والتحزبات، ما أجمل دروس السيرة النبوية الشريفة!! سيرة حبيبنا -عليه الصلاة والسلام-، في زمن يجهل كثيرًا من المسلمين سيرة نبيهم -صلوات الله وسلامه عليه-، بل وللأسف كما تشاهدون وتسمعون، أن الكثير من شبابنا من الجنسين، يعرفون تفاصيل حياة بعض المشاهير من أهل الفن والطرب والرياضة أكثر من معرفتهم عن حياة نبيهم وحبيبهم وقدوتهم محمد -ﷺ -.

نحاول -بمشيئة الله -خلال هذه الدورة المباركة، أن نستعرض نفحات مختارة من عبق سيرة النبي المصطفى -ﷺ -نتعرف من خلالها على حياة الحبيب -ﷺ -، ونقف على أهم ما فيها من الدروس والعبر، ولا شك أنه واجب على كل مسلم ومسلمة أن يعرف سيرة النبي -ﷺ -، وذلك لأمور كثيرة من أهمها ما يلي:

أولاً: لأنها تفسير عملي وبيان تطبيقي لدين الله -عز وجل-وكلامه المنزل الذي نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله -ﷺ -، فنبينا محمد -ﷺ -صاحب رسالة عظيمة، وقد بلغها بقوله وطبقها بفعله، فحياته بيان ناصع لهذه الرسالة، أقواله وأفعاله، حركاته وسكونه، في الرضا والغضب، في اليقظة والمنام، في المنشط والمكره، حياته -صلى الله عليه وسلم -كلها تفسير عملي لدين الله ولكلامه المنزل، تقول عائشة -رضي الله عنها" :-كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ."مسلم 746.

⇦أي كان يفسر القرآن تفسيرًا عمليًّا بخلقه وفعله -صلى الله عليه وسلم.-

ثانيًا: لأن النبي - ﷺ - قد جعله الله تعالى في مقام الأسوة للمؤمنين، وهو النموذج الأعلى للكمال البشري الذي علينا أن نتأسى ونقتدي به ونتبعه، وأزمة الأمة اليوم أزمة قدوات، فكثير من الناس يتخذون نماذج من البشر يعجبون بأحوالهم فيقلدونهم ويحاكونهم، وربما قلدوهم في سائر أمورهم حتى في هيئتهم وألبستهم، أما النبي - ﷺ - فليس المطلوب منا أن نقلده ونحاكيه، وإنما المطلوب أن نتأسى ونقتدي به، ونتبعه وننقاد لأمره، فإن التقليد والمحاكاة غالبًا ما يكونان عن غير بصيرة بخلاف التأسي والاقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- واتباعه، فإن ذلك لا يكون إلا عن علم وبصيرة؛ فهو دين.

⇦فالتأسي والاقتداء بالنبي -ﷺ -دينٌ، أمرنا به رب العالمين :(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: 21)، فمن يتأسى بالنبي -ﷺ -فهو مؤمن يرجو الله ويرجو اليوم الآخر، بل هو محب لدين الله، ولذا فهو يذكر الله كثيرًا.

ثالثًا: لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- مع اقتدائنا به واتباعنا له، يجب علينا أن نوقره ونعظمه ونحبه - ﷺ -؛ لأن الله أمرنا بذلك، بل قرن -سبحانه وتعالى- حبه بحب نبيه - ﷺ -، وجعلهما من أوجب الواجبات، وتهدد بالعقوبة من يخل بهما فقال تعالى :(قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبة24)، هذه الآية

نص في أن حبنا لله وحبنا لرسوله - ﷺ - يجب أن يكون أعظم من حبنا وميلنا لهذه الأشياء المذكورة ولغيرها من محبوبات الدنيا .

✉أرأيتم الخلل في الميزان؟! هل رأيتم السبب الرئيس في حالنا وحال أمتنا إذاً، إنها المخالفة الصريحة، هل – حقًا -الله ورسوله أحب عند كل مسلم من آبائه وأبنائه وإخوانه وأزواجه وعشيرته وماله وتجارته ومساكنه وعقاراته؟! أحقًا؟! أنتم أعلم بالإجابة .

✉إذًا فالميزان الذي نسير عليه فيه خلل، فالآية نص صريح أن حبنا لله وحبنا لرسوله -عليه الصلاة والسلام- يجب أن يكون أعظم من حبنا وميلنا لهذه الأشياء المذكورة ولغيرها من محبوبات الدنيا، بل إن الله اتخذ نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- خليلاً، والخلة درجة أعظم من المحبة، فمن كان يحب الله فيجب ويلزم أن يحب محبوبات الله، وأعظم محبوبات الله وأجلها هو حب رسول الله - ﷺ -، ولذلك فإن أكبر علامة على حب العبد لربه، حبه لمحمد - ﷺ -، والدليل على صحة حب محمد - ﷺ - هو: اتباعه والتأسي به، ولذا قال الله -عز وجل- في القرآن الكريم :(قُلْ -أي يا محمد -إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ) (آل عمران:31)، أي: إن كنتم تزعمون أنكم تحبون ربكم، فعليكم أن تحبوني، وإذا أحببتموني لزمكم أن تتبعوني .

✉ليس الأمر نفلاً أو مجرد عاطفة، بل لا يصح إيمان المؤمن، ولا يقبل إسلام المسلم، إذا لم يحب المصطفى والنبي المجتبى محمداً -ﷺ -، بل إيمانك ناقص لا يكمل حتى يكون حبه في قلبك أعظم من حب غيره من المخلوقين، كما قال -عليه الصلاة والسلام" :(فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ) ."البخاري. وفي رواية :(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ."البخاري ، مسلم.

✉من منا قرأ كتابًا في سيرة الحبيب -عليه الصلاة والسلام-، كتابًا واحدًا، من منا حاول أن يتعرف على سيرة المصطفى -صلوات الله وسلامه عليه -في قراءته لكتاب يترجم حياته -عليه الصلاة والسلام-، اقرؤوها، وتدارسوها، اجتمعوا ولو ساعة في الأسبوع مع أسرتكم، مع أهلكم وأبنائكم وبناتكم، أين المربون عن سيرة الحبيب -صلى الله عليه وسلم-؟! فما حصل الخلل في التربية؟! وما

هذا التخبط للأجيال إلا بالبعد عن سيرته -ﷺ-، إنها مليئة بالمواقف المؤثرة، وبالقصص الرائعة، وبالعبر والدروس الهادفة، إن أردت أن تبكي، أو أردت أن تبتسم، أو أردت أن تتفكر أو تعتبر، فهي المنهل العذب، والمورد الزلال، هي مصنع الرجال والأبطال، وفيها تصحيح الواقع والحال، وهي الموجِّه للنساء والرجال، بل لكل الأعمار والأجيال.

ولنحرص على الكتب المحققة التي ألفها المحدثون والعلماء المحققون الموثوقون، كما ميزوا فيها بين الصحيح والمكذوب من سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، واحذروا أن تقعوا في حبائل الكذابين من القصاصين والخرافيين، الذين حولوا السيرة الشريفة إلى مجرد حكايات متكلفة مصنوعة تختلط فيها الأكاذيب بالحقائق .

✉من أراد أن يعرف التطبيق العملي الرابح للقرآن فليدرس سيرة النبي المصطفى -صلى الله عليه وسلم-؛ فإنها الترجمة العلمية، إنه التفسير العلمي والعملي للقرآن الكريم.

✉ وكما تقدّم فسنحاول -بمشيئة الله تعالى- نقل نفحات من عبق السيرة العطرة -على صاحبها أفضل الصلاة والسلام-، ولكننا لن نفعل مثل ما يفعل بعض محبيه -صلى الله عليه وسلم- من جهال المسلمين من الغلو في ذاته -صلى الله عليه وسلم-، والاشتغال بذلك عن مواضع الأسوة والقدوة في حياته -صلى الله عليه وسلم-، فهو بنفسه -صلى الله عليه وسلم- حذّر أمته من الغلو في ذاته الشريفة، خشية وقوعهم بما وقعت به النصارى من الغلو في ذات عيسى ابن مريم -عليه السلام- حتى قالوا: إنه ابن الله، ثم قالوا: هو الله، ومحمد -صلى الله عليه وسلم- عبد الله ورسوله، وهو أعظم مقامًا بالنبوة من عيسى ابن مريم -عليه السلام-، أَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ -صلى الله عليه وسلم" :-هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ ."ابن ماجه، الأطعمة 3312

⇦وقال له أحد أصحابه يومًا تعظيمًا وتوقيرًا: يا سيدنا وابن سيدنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم" :-إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، ولاَ تَغْلُواْ فِيَّ كمَا غلتِ النَّصارَى في عيسَى ابنِ مريم ."أحمد (152/3)، والنسائي في عمل اليوم والليلة 250 .

✉فهو -ﷺ-عبد الله ورسوله، أما في مقام العبودية لله فيشترك -ﷺ-فيه مع سائر الخلق، فما من أحد من الخلق -مهما علا شأنه-لا يمكن أن ينفك من العبودية لله تعالى، ولكن أكمل الخلق عبودية لله هم الأنبياء والمرسلون، فهم أعرف الخلق وأعلمهم بمقام العبودية لله تعالى، ومحمد -ﷺ-أكمل الأنبياء والمرسلين، وأفضلهم وخاتمهم وإمامهم في عبوديته لله، وأعلمهم وأعرفهم بهذا المقام .

وهو - ﷺ - وإن اتصف بالبشرية إلا أنه في أكمل حالاتها وأحسن درجاتها، وقد اختصه الله واصطفاه بالرسالة والنبوة، ولذا كانت العصمة والرعاية الربانية الخاصة في هذا الجانب؛ فعصم - ﷺ - مما يمكن أن يمس مقام النبوة، ولذلك إذا نسي - ﷺ - ذكره ربه -عز وجل-، وإذا قال خلاف الأولى وجَّهه ربه -عز وجل-، وإن أراد أحد به سوءًا حماه ربه -عز وجل-، وقد جمع الله تعالى هاتين الصفتين وهذين الجانبين في شخصيته - ﷺ - جمع بينهما في آية واحدة في قوله تعالى :(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ) (الكهف110)، فهو - ﷺ - وإن كان بشرًا مثلكم في طبائعه وغرائزه وخصاله البشرية، إلا أنه اختص من بينكم بأن اجتباه الله واصطفاه بالنبوة والرسالة فأوحي إليه.

✋ ونبدأ سيرته صلى الله عليه وسلم بذكر نسبه الشريف وطيب أصله صلى الله عليه وسلم.

✉فهو صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب من ولد إسماعيل عليه السلام.

وجاء في (صحيح الترميذي) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِى كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ بَنِى كِنَانَةَ قُرَيْشًا وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِى هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِى هَاشِمٍ»

✉ولهذا قال ابن عباس: لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم نسب يتصل بهم كما روي البيهقي في سننه والطبراني في معجمه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خرجتُ من نكاحٍ ولم أخرجْ من سفاحٍ من لدن آدمَ إلى أن ولدَني أبي وأمي لم يصبْني من سفاحِ الجاهليةِ شيءٌ».

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ :«بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِى آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِى كُنْتُ فِيهِ».

وروى الإمام أحمد قَالَ الْعَبَّاسُ « بلغَهُ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بعضُ ما يقولُ النَّاسُ، فصعدَ المنبرَ فقالَ: من أنا؟ قالوا: أنتَ رسولُ اللَّهِ فقالَ: أنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المطَّلبِ، إنَّ اللَّهَ خلقَ الخلقَ فجعلَني في خيرِ خلقِهِ، وجعلَهُم فريقَينِ فجعلَني من خيرِ فرقةٍ ، وخلقَ القبائلَ فجعلَني في خيرِ قبيلةٍ ، وجعلَهُم بيوتًا فجعلَني في خيرِهِم بيتًا، فأنا خيرُكُم بيتًا وخيرُكُم نفسًا»عمدة التفسير

وقد ثبت في (صحيح مسلم) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ».

لقد شرف الله سبحانه وتعالى الوجود بميلاد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فازدانت بمولده وبعثته الأيام ، واستنارت به الأكوان ، وأضاءت به الليالي، وانقشعت به غشاوات الضلال والظلام ، لقد كان ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم منة عظيمة من الله تعالى على الناس، قال الله تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (164) آل عمران ، وكيف لا ، وميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ميلاد للهداية بعد الضلال ، وميلاد للنور بعد الظلام ، وميلاد للعدل بعد الظلم ،وهدى الله به الأمة صراطاً مستقيماً، وخلقاً قويماً، نعم لقد كان ميلاده صلى الله عليه وسلم ميلاد أمَّةٍ، وكانت بعثتُه بعثة رَحمة، وكان مَقدَمُه مقدم رسالة ، جاءت لتغيّر مجرى التاريخ، فبميلاده بَيَّض الله وجهَ الأرض، وعطر به نَسيم الكون، ونظم به شؤونَ الحياة، وغيَّر به الواقع السيّئ الذي كانت تعيشه البشرية ، إلى واقع أصبح مثالا يحتذى به في الطهر والنقاء ، وكان ميلاده صلى الله عليه وسلم ميلاد رحمة للعالمين، وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه الكريم : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) الأنبياء (107)

✉ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فعن أبي قتادة قَالَ «وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ قَالَ ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ»

✉ ومنذ صغره -صلى الله عليه وسلم-، فقد حفت به كرامة النبوة، وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل، وتوفي أبوه عبد الله وهو في بطن أمه، وفي المستدرك، وقال صلى الله عليه وسلم (وسأخبركم بأول أمري، دعوةُ إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني، أنه خرج لها نور أضاءت لها منه قصور الشام) رواه في (شرح السنة) الدرر السنية

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (رأَتْ أُمِّي كأَنَّهُ خرجَ منها نورٌ ، أضاءَتْ منه قصورُ الشامِ) صحيح الجامع

✉وأُمُّ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ هي آمِنةُ بنتُ وهبٍ؛ سيِّدةُ نِساءِ بني زُهرةَ، ورُؤيتُها إنَّما هي على الحقيقةِ، ويَحتمِلُ أنْ تكونَ الرُّؤيا مَناميَّةً، وقد أُوِّلَ ذلك النُّورُ بوَلدٍ يَخرُجُ منها، يكونُ ذلك النُّورُ منه، وهذا النُّورُ إشارةٌ إلى ما جاء به مِن النُّورِ الذي اهتَدَى به أهلُ الأرضِ، وأُزيلَتْ به ظُلمةُ الشِّركِ.

✉ولما ولدته أمه أرسلت الى جده عبد المطلب تبشره بحفيده، فجاء مستبشرا ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكره، وسماه محمدا ليكون محمودا في الأرض والسماء، فهو محمود عند ربه، ومحمود عند أهل السماء، ومحمود عند أهل الأرض، وهو صلى الله عليه وسلم محمود في صفاته وأخلاقه، وهو صلى الله عليه وسلم محمود في سلوكه وآدابه، وهو صلى الله عليه وسلم محمود في عبادته وخلواته، وهو صلى الله عليه وسلم محمود في صمته وكلامه، وهو صلى الله عليه وسلم محمود مع أصحابه وأعدائه، وعند أهله وجيرانه، وعند أقاربه وأرحامه وهو صلى الله عليه وسلم محمود في كل شيء لأنه محمود في الأرض والسماء لذلك فهو محمد.

✉وكانت ثويبة هي أول من أرضعت النبي بلبن ابن لها يقال له مسروح، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وكانت جارية عمه أبي لهب، ويقال أنه أعتقها عندما بشرته بولادة محمد – صلوات الله عليه -.

✉ثم أعطته أمه لحليمة السعدية حتى ترضعه؛ لأنه كان من عادة العرب أن يسترضعوا أولادهم في البادية، ليتعلموا فصاحة الكلام، وخشونة الحياة، ويستنشقوا الهواء الصافي، فينشئون أقوياء الأبدان والأجسام، فلما أعطته أمه لحليمة لترضعه رأت حليمة من الآيات ما أذهلها: فما أن وضعته على صدرها وألقمته ثديها، حتى أقبل ثديها بالحليب مع أنها كانت تشكو من عدم وجود الحليب في ثديها، وكانت تملك ناقة ليس فيها قطرة من حليب، فإذا بها قد تغيرت، وأصبحت تدر الحليب دراً، وكانت أرضهم التي يعيشون عليها جدباء، فإذا بها قد تغيرت وانقلبت إلى أرضٍ خضراء -بإذن الله-، حتى قال زوج حليمة السعدية لها: "تعلمين يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة، فقالت: والله إني لأرجو ذلك".

📧تدفقت الخيرات والبركات على بيت حليمة وزوجها بعد أيام الجفاف والضر والعسر، ليوحي أن مجاعة العالم كله، وجفاف الروح الإنسانية إنما تنتظر مبعث محمد بالإسلام؛ لأن البركات والخيرات لا يمكن أن تنزل على أمة إلا إذا اتقت ربها، وارتبطت بدينها، ومنهج رسولها -صلى الله عليه وسلم-

✉إذن للنبي صلى الله عليه وسلم سبعة إخوة من الرضاعة:

❶مسروح ❷وعمه حمزة ❸ وابن عمته أبو سلمة من مرضعته (ثُوَيْبَة) مَوْلاة لأَبِي لَهَب اِرْتَضَعَ مِنْهَا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْل حَلِيمَة السَّعْدِيَّة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا.

❹وعبد الله❺والشيماء ❻وأنيسة إخوته ❼وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، من مرضعته حَلِيمَة السَّعْدِيَّة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا.

ومن أعظم متطلبات هذا المقام العظيم -مقام النبوة-أن الله تعالى ربى نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم-منذ صغره، وأدبه وأحسن تأديبه، فرباه على اليتم صغيرًا، فنشأ يتيم الأبوين، عاش النبي -صلى الله عليه وسلم-ربانياً في كل شيء ربانياً في تربيته؛ لأن الذي رباه هو الله، وربانياً في النور الذي سطع في قلبه؛ لأن الذي ملأ قلبه بالنور هو الله، وربانياً في التلقي، فما تلقى عن أحد سوى الله شيئاً، إنما تلقى عن الله وحده، وربانياً في سلوكه فما كان يخطو خطوة واحدة، ولا يتكلم بكلمة، إلا إذا عرف أنه يرضي بها ربه.

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم أربع سنوات، حدثت له حادثة شق الصدر عن أنسِ بنِ مالكٍ: «أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عَليهِ وسلَّم أتاهُ جبريلُ صلَّى الله عَليهِ وسلَّم وهو يلعبُ مع الغِلمانِ، فأخذهُ فصرعهُ، فشَقَّ عن قَلبِه، فاستخرجَ القلبَ، فاستخرجَ منه عَلَقَةً، فقال: هذا حَظُّ الشَّيطانِ منكَ، ثمَّ غسلهُ في طِسْتٍ من ذهبٍ بماءِ زمزمَ، ثمَّ لَأَمَهُ، ثمَّ أعادهُ في مكانِه، وجاء الغِلمانُ يَسعَون إلى أمِّه فقالوا: إنَّ محمَّدًا قد قُتل، فاستقبلوه وهو مُنْتَقِعُ اللَّونِ". قال أنسٌ: «وقد كنتُ أَرى أثرَ ذلكَ المِخْيَطِ في صدرِه».الدرر السنية

وحادثة شق الصدر واستخراج العلقة السوداء التي تحوي الغل والحقد والحسد والجبن، وغير ذلك من أمراض القلوب، ثم تطهير القلب، ثم إعادته إلى مكانه، هو نوع من أنواع الإعداد التي أعد الله بها محمداً للنبوة، وعلى كل فقدرة الله لا تحدها شيء، وليس لها حدود، فالعملية الجراحية لم تستغرق سوى بضع دقائق، ثم انتهى كل شيء، وكان الصحابة يعرفون ذلك.

وكذلك كانت حادثة شق الصدر مرة أخرى قبل الاسراء به عليه الصلاة والسلام ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فُرِجَ عن سَقْفِ بَيْتي وأَنَا بمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بطَسْتٍ مِن ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وإيمَانًا، فأفْرَغَهُ في صَدْرِي، ثُمَّ أطْبَقَهُ، ثُمَّ أخَذَ بيَدِي، فَعَرَجَ بي إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا "

✉ بل إنّ الله خصّه بأن أسلم له قرينه من الشّياطين، فقد روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم:((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ)) قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: ((وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ)).

✉ ولمَّا بَلَغَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم سِتَّ سنينَ ، فقد أمه بعد أن فقد أباه قبل ذلك، ، خرجَتْ به أُمُّه السيِّدةُ آمنةُ بنتُ وهبٍ إلى أخوالِه بني عَديّ بن النَّجَّار تَزورُهم به، ومعه حاضِنَتُه أمُّ أيمنَ رَضي اللهُ عنها، وهم على بَعيرَين، فنَزَلَت به أُمُّه في دارِ النابغةِ عند قبرِ أبيه عبدِ الله بن عبدِ المُطَّلِب، فأقامَت به عند أخوالِه شهرًا، ثم رَجَعَت به أُمُّه إلى مكةَ، فلمَّا كانوا بالأبواءِ تُوُفِّيَت أُمُّه آمِنةُ بنتُ وهبٍ، ورَجَعَت به أُمُّ أيمنَ رَضي اللهُ عنها -واسمُها: بَرَكةُ بِنتُ ثَعلَبةَ بنِ حِصنٍ-، وكانت أمُّ أيمنَ رَضي اللهُ عنها تحبُّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حُبًّا شديدًا وتَعتني به غايةَ الاعتِناءِ، وتَحوطُه برِعايَتِها وشَفقَتِها، وكان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَبَرُّها ويُحسِنُ إليها، ولمَّا كَبِرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أعتَقَها، ثم أنكَحَها زيدَ بنَ حارِثةَ رَضي اللهُ عنه الذي أنجَبَت منه أُسامةَ بنَ زيدٍ رَضي اللهُ عنهما، وقد تُوُفِّيَت أمُّ أيمنَ رَضي اللهُ عنها بعدما توفِّي رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بخَمسةِ أشهُرٍ.الدرر السنية

✉لمَّا تُوفِّيتِ آمنةُ والدةُ الرسول عليه الصلاة والسلام وعُمُرُه ستُّ سنواتٍ، صارت كَفالَتُه إلى جدِّه عبدِ المطلب بن هاشِمٍ، وكان عبدُ المطلب ذا شَرفٍ في قومِه وفَضلٍ، وكانت قُريشٌ تُسمِّيه الفضلَ؛ لسَماحتِه وفضلِه، وتولَّى أمْرَ الرِّفادةِ والسِّقايةِ بعد موتِ أبيه هاشِمِ بن عبد مَنافٍ. وكان عبدُ المطلب يُحِبُّ حفيدَه مُحمَّدًا حبًّا عظيمًا، ويُقدِّمُه على سائِرِ بنيه، ويَرِقُّ عليه أكثَرَ مِن رِقَّتِه على أولادِهِ، قال ابنُ إسحاقَ رحمه الله: "وكان رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مع جدِّه عبد المطلب بن هاشم -يعني: بعدَ موتِ أُمِّه آمنةَ بنتِ وَهبٍ-؛ فكان يُوضَعُ لعبد المطلب فِراشٌ في ظلِّ الكعبة، وكان بَنوه يَجلِسون حول فِراشِه ذلك حتى يَخرُج إليه، لا يَجلِسُ عليه أحدٌ مِن بنيه إجلالًا له؛ فكان رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يأتي وهو غُلامٌ جَفْرٌ -أي: ممْتلئٌ قويٌّ- حتى يَجلِسَ عليه؛ فيأخذُه أعمامُه ليؤخِّروه عنه؛ فيقول عبدُ المطلب إذا رَأى ذلك منهم: دَعوا ابني؛ فوالله إنَّ له لَشأنًا، ثم يُجلِسُه معه على فِراشِه،

ويَمسَحُ ظهرَه بيدِه، ويَسُرُّه ما يراه يَصنَعُ". وكان عبدُ المطلب لا يَأكلُ طَعامًا إلَّا يقولُ: "عَلَيَّ بابني!" فيُؤتَى به إليه.

⊠لمَّا بَلَغَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثَمانيَ سنواتٍ تُوُفِّي جدُّه عبد المطلب، وكان عبدُ المُطَّلِب لمَّا حَضَرته الوفاةُ أوصى ابنَه أبا طالبٍ بحِفظِ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وحياطَتِه، والقيامِ عَليهِ، وأوصَى به إلى أبي طالِبٍ؛ لأنَّ عبدَ الله -والِدَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-وأبا طالبٍ كانا لأُمٍّ واحدةٍ، فلمَّا مات عبدُ المطلب كان أبو طالِبٍ هو الذي يَلي أمْرَ رسولِ اللَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بعد جدِّه. ورَوَى ابنُ سعدٍ، وابنُ عساكِرَ عن ابن عبَّاسٍ رَضي اللهُ عنهما، وغَيرِه، قالوا: لمَّا تُوُفِّيَ عبدُ المطلب قَبَضَ أبو طالبٍ رسولَ اللَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فكان يكونُ معه، وكان يُحِبُّه حبًّا شديدًا لا يُحِبُّ وَلَدَه مِثله، وكان لا يَنامُ إلَّا إلى جَنبِه، وكان يَخُصُّه بالطَّعامِ، وكان عيالُ أبي طالِبٍ إذا أكلوا جميعًا أو فُرادَى لم يَشبَعوا، وإذا أكَل معهم رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم شَبِعوا. وكان أبو طالِبٍ إذا أراد أن يُغدِّيَهم أو يُعشِّيَهم يقول: كما أنتُم حتى يَحضُرَ ابني. فيَأتي رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فيأكُلُ معهم فيُفضِلون من طَعامِهم، وإن لم يَكُن معهم لم يُشبِعْهم، وإن كان لَبنًا شَرِبَ هو أوَّلَهم ثم يتناوَلُ العيالُ القَعْبَ -إناءٌ ضخمٌ كالقَصْعةِ -فيَشرَبون منه فيُروَون عن آخِرِهم من القَعبِ الواحِدِ، وإن كان أحدُهم لَيَشرَبُ قَعبًا وَحدَه، فيقول أبو طالبٍ: "إنَّكَ لَمُبارَكٌ! "الدرر السنية

⊠لمَّا تمَّ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من العُمُرِ اثنَتا عَشْرةَ سنةً، سافر عمُّه أبو طالِبٍ إلى الشَّامِ في رَكبٍ للتِّجارةِ، فأخَذهُ معه. ولمَّا نزلَ الرَّكبُ (بُصرَى) مرّوا على راهِبٍ هناك يُقال له (بَحيرَا)، وكان عالماً بالإنجيلِ، خبيرًا بالنَّصرانيَّةِ، وهناك أبصرَ بَحيرَا النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فجَعَلَ يتأمَّلُه ويُكلِّمُه، ثم الْتَفَتَ إلى أبي طالبٍ فقال له: ما هذا الغُلامُ مِنكَ؟ فقال: ابني (وكان أبو طالِبٍ يَدعوه بابنِه؛ لشدَّةِ محبَّتِه له وشَفَقَتِه عليه). فقال له بَحيرَا: ما هو بِابنِك، وما ينبغي أن يكونَ أبو هذا الغُلامِ حيًّا. فقال: هو ابنُ أخي. قال: فما فَعَل أبوه؟ قال: مات وأُمُّه حُبلَى به. قال بَحيرَا: صدقتَ. فارجِعْ به إلى بلدِه واحذَرْ عليه يهودَ؛ فوالله لئنْ رأوْهُ هنا لَيَبْغُنَّهُ شرًّا؛ فإنَّه كائنٌ لابنِ أخيك هذا شأنٌ عظيمٌ. فأسرَع به أبو طالبٍ عائدًا إلى مكَّةَ.

وروَى التِّرمذيُّ: أنَّ أبا طالبٍ خرج إلى الشَّامِ، وخَرَج معه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في أشياخٍ من قُرَيشٍ؛ فلمَّا أشرَفوا -اقتَرَبوا- على الرَّاهِب -يَعني: بَحيرَا- هَبَطوا فحَلُّوا رِحالَهم؛ فخَرَج إليهمُ الراهبُ، وكانوا قبل ذلك يَمرُّون به فلا يخرُجُ إليهم ولا يَلتفِتُ إليهم، قال: وهم يَحُلُّون رِحالَهم؛ فجَعَل يَتخلَّلُهمُ الرَّاهبُ حتى جاء فأخَذ بيَدِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: هذا سيِّدُ العالَمين، هذا رسولُ ربِّ العالَمين، يبعَثُه اللهُ رحمةً للعالَمين، فقال له أشياخٌ من قُريشٍ: ما عِلمُك؟ قال: إنَّكم حين أشرفتُم من العقبةِ لم يبقَ شجرٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجدًا، ولا يَسجُدانِ إلا لنبيٍّ، وإنِّي أعرِفُه بخاتَمِ النبوَّةِ أسفلَ من غُضروفِ كَتِفِه مثلِ التُّفَّاحةِ، ثم رَجَع فصَنَع لهم طعامًا، فلمَّا أتاهم به، وكان هو -أي: الرسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- في رِعيةِ الإبلِ، قال: أرسِلوا إليه. فأقبَلَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وعليه غَمامةٌ تُظِلُّه، فلما دنا من القَومِ، وَجَدَهم قد سَبَقوه إلى فيءِ -ظلِّ- الشَّجرةِ، فلمَّا جلس رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مالَ فَيءُ الشجرةِ عليه، فقال بَحيرَا: انظُروا إلى فَيءِ الشجرةِ مالَ عليه! قال: فبينما هو قائمٌ عليهم، وهو يُناشِدُهم ألَّا يَذهَبوا به إلى الرُّومِ؛ فإنَّ الرُّومَ إن رأوه عَرَفوه بالصِّفةِ فيقتُلونَه، فالْتفَتَ فإذا بسَبعةٍ قد أقبلوا من الرُّومِ فاستَقبَلَهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جِئنا أنَّ هذا النبيَّ خارِجٌ في هذا الشَّهرِ، فلم يبقَ طريقٌ إلَّا بُعِثَ إليه بأُناسٍ، وإنَّا قد أُخبِرنا خَبَرَه، فبُعِثنا إلى طريقِك هذا، فقال: هل خَلْفَكم أحدٌ هو خيرٌ منكم؟ قالوا: إنَّما أُخبِرنا خَبَرَه إلى طريقِكَ هذا. قال: أفَرَأيتم أمرًا أراد اللهُ أن يقضيَه، هل يستطيع أحدٌ من الناس ردَّه؟ قالوا: لا، قال: فبايَعوه، وأقاموا معه عنده. قال: فقال الرَّاهبُ بَحيرَا: أنشُدكم اللهَ أيُّكم وَليُّه؟ قال أبو طالب: فلم يزَل يُناشِدُه حتى ردَّه أبو طالِبٍ."الدرر السنية

✉إن هذه نفحات من سيرة الحبيب المصطفى والرسول المجتبى الذي، بعثه الله جل علا؛ ليخرج الأمة من الوثنية والظلام إلى التوحيد والإسلام، وينقذ الناس من التناحر والتفرق والآثام، إلى العدل والمحبة والوئام.

✉ الواجب علينا أن نستعيد محبته صلى الله عليه وسلم في قلوبنا فإنَّ محبةَ رسولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – يجب أن تكون فِي النفوسِ مغروسةٌ، وطاعتُهُ فِي القلوبِ مطبوعَةٌ، وتكون محبته منْ خلالِ التأسِي بصفاتِهِ وأخلاقِهِ ،ودراسةِ سيرتِهِ العطرةِ المباركَةِ ،وسيرةِ أصحابِهِ رضوانُ اللهِ عليهِمْ

أجمعينَ، الذينَ ربَّاهُمْ، فصنَعَ منهُمْ خيْرَ أُمةٍ أُخرجَتْ للناسِ، وصدقَ اللهُ العظيم إذْ يقولُ: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الاحزاب 21،.

الحمد لله رب العالمين. اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والايمان. ولك الحمد أن جعلتنا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المراجع:

❶الخطباء: الدكتور ابراهيم الدويش، الشيخ: صالح بن محمد الجبري.

❷الموسوعة التاريخية: الدرر السنية.

❸موقع خطب دعاة إلى الله.